وله نيف وعشرون سنة، وتخرّج غالب علماء العصر عليه، ولم يروا غيره في كرم نفسه وعُلوّ همته وتجمله في مأكله وملبسه. وصنّف رسالةً في الرَّدِّ على ابن تيمية في الطلاق، وأخرى في الرَّدِّ عليه في الزيارة، وعلّق على المنهاج. وكان يلقي دروسه في النهاية لإمام الحرمين. ودخل ديوان الإنشاء ووقَّع في الدست، وولي نظر المارستان، ودرّس بمدارس، وولي نظر الديوان ووكالة بيت المال ونظر الخزانة. قال ابن كثير: انتهت إليه رياسة المذهب تدريساً وإفتاء ومناظرة، وساد أقرانه بذهنه الوقَّاد وتحصيله الذي منعه الرقاد، وعبارته الرائقة وكلماته الفائقة. ولم يسمع أحد من الناس يُدرّس أحسن منه، ولا سمعت أحلى من عبارته وجودة تقريره وصحة ذهنه وقوة قريحته. انتهى. ثم لما ولي قضاء حلب، وطلبه الناصر على البريد ليوليه قضاء دمشق، فتوجه إلى القاهرة (فمات) في الطريق، فيقال إنه مات مسموماً. ورُوي أنه لما مرض قال: أنا ميت، ولا أتولى بعد قضاء حلب شيئاً لأنه كان لي شيخ أدخلني الخلوة وأمرني بصيام ثلاثة أيام أفطر فيها على الماء واللبان، فاتفق آخر الثلاث يوم النصف من شعبان فخيل إليّ وأنا في الصلاة قبة عظيمة بين السماء والأرض وظاهرها مراقي، فصعدت فكنت أرى على مرقاة مكتوباً نظر الخزانة، وعلى آخر الوكالة، وعلى آخر مدرسة كذا، وعلى آخر مرقاة قضاء حلب، وأفقت من غيبتي وعُدت إلى حِسِّي فقال لي الشيخ: القبة الدنيا، والمراقي المراتب، والذي رأيته تناله كلّه، فكان كذلك. وكان موته في سادس عشر رمضان سنة ٧٢٧ سبعٍ وعشرين وسبعمائة، ودفن بالقرافة بالقرب من الإمام الشافعي.

(٤٨٢)

(الإمام المنصور باللَّه مُحمَّد ابن عليّ بن مُحمَّد بن أحمد المعروف بالسراجي)[1]

ولد سنة ٨٤٥ خمسٍ وأربعين وثمانمائة، وقرأ العلوم حتى صار من أكابر علماء عصره، ودعا إلى نفسه سنة (٩٠٠)، وبايعه جماعة من علماء الزيدية، وأجابه كثير من الرعية، وفتح مواضع، ووقعت بينه وبين السلطان عَامِر بن عبد الوهاب حروب كان في آخرها أسر صاحب الترجمة، فسجنه، وفرّج اللَّه عنه بالموت بعد ثلاثة أشهر. وكان أسره (وموته) في سنة ٩١٠ عشرٍ وتسعمائة، ودفن عند جدّه بمسجد من مساجد صنعاء يقال له مسجد الأجذم.

---

(١) ترجمته في: الأعلام: ٦/ ٢٨٩.